إذا كان نقل الجامعة العربية.. سيحرر فلسطين ننقلها على أكتافنا

بقلم صبرى أبو المجد

وإذا كانت مقاطعة مصر ستعيد الأرض العربية المحتلة.. فشعب مصـر يرحـب بتلـك المقاطعة

من أهم الأسئلة التى وجهت إلى هذا الأسبوع من بعض الصحفيين الأجانب الذين كـانوا يزورون مصر، السؤال التالى:

هل الرئيس السادات هو الذى يدفع مصر إلى العمل لتحقيق السلام، أم أن شعب مصـر هو الذى يدفع الرئيس السادات إلى العمل لتحقيق السلام ؟

والإجابة عن هذا السؤال سهلة وميسورة. إذا نحن نظرنا إليهـا مـن زاويـة أن القائـد الأصيل لشعب من الشعوب، هو الذى يعرف جيداً آمال شعبه، ويبذل قصارى جهده لتحقيـق تلك الآمال. كما أن الشعب الأصيل هو الذى يعرف جيداً- وخاصة فـى أوقـات الأزمـات التاريخية العنيفة التى تمر به- كيف يختار قائده وزعيمه، وكيف يضع فيه ثقته المطلقة التـى لا حدود لها..

والسادات بحكم زعامته الأصيلة لشعب مصر موفقاً إلى أبعد حدود التوفيق، عندما اختار ابنه وقائده أنور السادات على ضوء مسيرته النضالية لأكثر من ثلث قرن.. وكان فـى نفـس الوقت موفقاً إلى بعد حدود التوفيق عندما وضع ثقته المطلقة فى أنور السـادات.. باعتبـاره البطل الذى سيحقق له كل أحلامه وأمانيه.

وشعب مصر الذى عانى الكثير، طوال الثلاثين عاماً الماضية، وتحمل ما لم يتحملـه أى شعب من الشعوب دفاعاً عن نفسه وأخوته العرب.. أيقن ومنذ الهزيمة العربية الكبرى فـى 5 يونيو 1967... أنه وأخوته العرب لن يستطيعوا أبداً زحزحة إسرائيل عـن حـدودها التـى ضمنتها وحمتها الدول الكبرى والمجتمع الدولى كله.

رأى شعب مصر على ضوء ما لحق به وأخوته العرب من خسائر طوال الثلاثين عامـاً الماضية، أن ينظر إلى قضيته الأولى نظرة واقعية عملية لا تعتمد على الشعارات الكاذبة، ولا على الأحلام الخادعة. رأى شعب مصر أن ينظر إلى المشكلة التى بينه وبين إسرائيل علـى أنها مشكلة حدود.. لا مشكلة وجود. رأى شعب مصر أنه لابد مـن أن يتحقـق السـلام.. لا

لضائقة اقتصادية حلت به، ولا لأنه فقد عشرات الألوف من أعز أبنائه، ولا لأنه قـد ضـاق ذرعاً بالمشاكل العربية المعقدة التى لم يجن من ورائها إلا كل المتاعب والمشاق.. إنمـا رأى أن السلام لابد وأن يتحقق.. لأن فى تحقيقه الخير كل الخير للأخوة العرب.. أيد شعب مصر قضية السلام تأييداً مطلقاً.. ومن لا يصدق فعليه أن ينزل إلـى الشـارع المصـرى ليسـمع ويرى..

صحيح أنه توجد أصوات واتجاهات متنافرة متناكرة تلتقى حول رفضها للسلام. ولكن ما الذى تمثله هذه الأصوات وهذه الاتجاهات بالنسبة إلى شعب مصر. واحد فى المائة، اثنان فى المائة. بل أننى لا أبالغ إذا ما قلت إن هذه الأصوات وهذه الاتجاهات لا تمثل.. لا واحد فـى المائة، ولا اثنين فى المائة من شعب مصر، وإنما تمثل أفراداً القلائل لن يجدوا الجرأة لكـى ينزلوا إلى الشارع المصرى، ولو فى حراسة البوليس، ليعلنوا معارضتهم تحقيق السلام.

وإذا كانت جهات الرفض تنظر إلى هؤلاء الأفراد القلائل على أنهـم يمثلـون الشـعب المصرى فهذا شأنها، وإن كنا فى نفس الوقت نتحداها أن ترسل بعض مبعوثيها إلى مصـر، ليعرفوا جميعاً- إن لم يكنوا يعرفون من قبل- أن هذه الأصوات الرافضة للسلام لا تمثل مـن قريب أو من بعيد الأربعين مليون مصرى، وإنما تمثل جهات الرفض الخارجى.

والذى يعنينا هنا أن نقوله بصراحة ووضوح للأخوة العرب، كل الأخوة العرب بل ولغير الأخوة العرب، أن رغبة مصر فى تحقيق السلام، هى رغبة إجماعية، ليست رغبة حـزب.. وليست رغبة نظام، وإنما هى رغبة الشعب المصرى كله من أقصاه إلى أقصاه.. ولا أعتقـد أبداً، أن هناك أية قوة فى هذا العالم تستطيع أن تجبر شعباً على أن يقبـل مـا يرفضـه.. أو يرفض ما يقبله..

وشعب مصر عندما قرر أن يحقق السلام عرف جيداً أن معركة تحقيق السلام، لن تكون أبداً أسهل من كل تلك المعارك الضارية العنيفة التى خاضها على مدى الثلاثين عاماً الماضية.

عندما قرر شعبنا أن يختار السلام كان يعرف جيداً أن تلك الأنظمة التى تعاديه بطبيعتها وبحكم انتماءاتها المناوئة له سوف تشن عليه حروباً عنيفة فى الإذاعات، وفى الصحافة.. وفى كل المجالات الإعلامية وغير الإعلامية.

عرف شعبنا جيداً عندما اختار السلام، أنه سيتعرض لمقاطعة من بعض الأنظمة العربية، التى لا تزال تأتمر بأمر أجنبى المعادى للقضايا العربية.. وقد تأهـب شـعب مصـر لهـذه

المقاطعة إلى أبعد حدود التأهب.. قد تحارب بعض مؤسساته الاقتصادية فـى الخـارج بـل العاملين فى هذا القطر الشقيق أو ذاك.. وقد ... وقد.ز ولكن ذلك كله لن يوقف أبـداً عجلـة السلام التى قرر شعب مصر أن يدفعها بكل ما يملك من قوة..

إن الذى يقرأ ما تنشره- فى هذه الأيام- صحافة البعث العراقـى، والبعـث السـورى، وصحافة العقيد المجنون فى ليبيا.. والذى يستمع إلى إذاعات تلك الأنظمة العملية التى تحكـم شعوبها بالحديد والنار، والتى لا تجرؤ حتى على مجرد نزولها إلى الشارع فى أية عاصـمة ابتليت بحكمها البغيض.. يتصور أن مصر توشك أن تتعرض لحرب عنيفة ضـارية تشـنها ضدها تلك الأنظمة الضعيفة الهزيلة المتخاذلة.

والذين يعرفون جيداً مدى "قوة" هذه الأنظمة و"جبروتها"... يعرفون جيداً أنها لا تملك إلا الميكروفونات والصحف الصفراء، التى تصدرها.

لقد أعلنت هذه الأنظمة الحرب ضد مصر.. سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.. طوال سـتة عشر شهراً منذ أن قام الرئيس السادات بمبادرته العظيمة الشجاعة للقـدس.. فمـاذا كانـت النتيجة؟!.. هل تأثرت مصر بهذه الحرب. هل ضعفت.. هل استكانت؟! بالعكس زادت مصر بالحرب التى شنتها تلك الأنظمة.. قوة على قوتها..

وإذا كان شعب مصر قد وقف من تلك الحرب القذرة، طوال الستة عشر شهراً الماضية، موقف الدفاع دون أن يتولى الرد على الحرب بحرب مثلها، فلن يقف ذلك الموقف أبـداً بعـد توقيع اتفاقية السلام. سيرد شعب مصر- بلا جدال- الصاع صاعين. بل سـوف ينقـل تلـك الحرب إلى داخل العراق وسورية وليبيا.. إلى أن تسقط تلك الأنظمة العميلة التـى تحكمهـا، سقوطاً مدوياً.

والذى يقرأ بعض الصحف التى تصدر فى الكويت وفى الأردن، بكل أسف شديد، والتى يطالب كتابها ومحرروها بنقل الجامعة العربية من مصر، وبمقاطعة مصر سياسياً واقتصـادياً واجتماعياً... و..و...إلخ... يتأكد له أن كتاب تلك الصحف ومحرريها لـم يفقـدوا وعـيهم واتزانهم وحسب، بل فقدوا كل حس وطنى أو قومى على الإطلاق.

هل نقل الجامعة العربية من مصر إلى أى بلد عربى آخر، هو الذى سيعيد فلسطين ؟

إذا كان الأمر كذلك.. فأننا، على استعداد لنقل الجامعة، على أكتافنا..

إن الجامعة العربية، ليست مصدر قوة لمصر، وإنما مصر هى مصدر القـوة للجامعـة لتنتقل الجامعة العربية إلى أية عاصمة عربية أخرى، وإنما ستكون مجموعة من المكاتـب لا أهمية لها ولا قيمة.

ولن تضار مصر من نقل الجامعة المصرية.. بقدر ما تضار بقية الدول العربية من نقـل الجامعة من مصر.

وهم يتحدثون فى الكويت، وفى الأردن.. بكل أسف شديد عن مقاطعـة مصـر سياسـياً واقتصادياً واجتماعياً. ولست أدرى ما الذى يقصدونه من مقاطعة مصر اجتماعياً.. اللهـم إلا ألا يتزوج العرب من مصريات، وألا يتزوج المصريون من عربيات..!

ونحن بمنتهى الأمانة والصدق، نقولها لهم، إذا كانت مقاطعة مصر سياسـياً واقتصـادياً واجتماعياً.. بل وفنياً، هى التى ستعيد الأرض العربية المغتصبة إلى أهلها، وسوف تحررهـا من الاحتلال الصهيونى ... فإن شعب مصر يرحب بتلك المقاطعة.

أن شعب مصر الذى ضحى طوال الثلاثين عاماً الماضية على استعداد أن يضيف إلـى سجل تضحياته تضحية جديدة، هى ترحيبه بمقاطعة بعض الأخوة العرب...

ولا نريد أن نقول لهؤلاء الذين يهددون بمقاطعة مصر سياسياً واقتصـادياً واجتماعيـاً.. لماذا لم تقاطعوا إسرائيل؟.. لماذا وضعتم أموالكم فى كل البنوك الصهيونية فـى كثيـر مـن العواصم الأوروبية والأمريكية؟ لماذا تحرصون على شراء كل ما هو صهيونى ؟!

إذا كانت مقاطعتكم لمصر سوف تكون على غرار مقاطعـت□□1□□قرائيـل طـوال الثلاثين عاماً الماضية، فسوف يزدهر الاقتصاد المصرى بسبب تلك المقاطعة.

لقد قالت مصر كلمتها عندما اختارت السلام، وهى ماضية فى طريق السلام، ولن يثنيها عن المضى فى الطريق نقل الجامعة العربية أو مقاطعة بعض البلدان العربية لها... وإن كنـا لا نفضل نقل الجامعة، ولا مقاطعة مصر... لا من أجل مصر.. وإنما من أجل العرب، كـل العرب.